Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلاّ أنّ الشكّ قد يساورنا في بعض الأحايين، وحين نشكّ نقول في أنفسنا إنّ هذه الموسيقى ليست أمراً بديهياً إلى هذه الدرجة، وإننا لربما نحن الذين وضعناها فيها من فرط صلواتنا ـ لا الله ولا ربّات الوحي المجتمعة في شارلفيل، ولا حتى العبقرية ـ وإنّ قرناً من الإخلاص قد وضع فيها تلك الموسيقى. لا يهمّ، فالعادة قد جَرَتْ: فقد لا يعدو الأمر أنْ يكون مجرّد أغنيةٍ خفيفةٍ، لكنّ لوقعها في أنفسنا صدىً رائعاً شبيهاً بوقع موسيقى تسبيحة الشكر لله يعزفها أرغنٌ كنائسيّ كبير.

إننا لنودّ، بإخلاص، الاعتقاد بأنّ بانفيل قد سمع في أشعار رامبو هذه التسبيحة، وأنه لربما سمع في أشعار طالب المدرسة ذاك صدىً بعيداً للقفزة التي قامت بها الكارابوس في مخبئها الداخليّ الضيّق، ولعرسها الذي عاشته فيه من جديد مع النقيب، هذا الزواج الناجح بين البوق والصلوات، وتلك الدراما العائلية السخيفة وقد تمجّدت في قدّاس مهيب، في لغةٍ واضحةٍ لكنها متجلببةٌ يتعذّر تعرّفها. أو أنّ ما قرأه بانفيل والقوافي الغامضة التي سمعها ـ إذا ما كنّا نفضّل استخدام صورٍ أقدم مستقاةٍ من تعاليم ذاك العصر لا من تلك القصص العائلية التي تشكّل تعاليم عصرنا الأعجف ـ كانت تلك القوافي التي يصطدم فيها الغضب بالإحسان، والحقد اللامتناهي بالرحمة، فتمسك بكلّ منهما في يدٍ بعيداً عن الآخر، كاملاً ولا يقبل الوفاق مع الآخر كعدوّين لدودَين، ثمّ تفلتهما واحدهما في مواجهة الآخر كديوك القتال فتهيّجهما ثمّ تعيد الإمساك بهما وتؤكّد هذا الانفجار بقرع قويّ للطبول. وإذا ما حملك إخلاصك الشخصيّ على استعمال استعاراتٍ أخرى (تعتبرها فكراً وهي من الفكر) فستستعمل تسمياتٍ أخرى لطرفَيّ عملية قرع الطبول هذه: ستقول إنهما الثورةُ والحبُّ النقيّ، أو العدمُ والخلاص، أو السقوطُ الذي لا ينتهي وفي قلب هذا السقوط ذاك الحضور الدائم لمن لم يعد يُسَمّى